الحلقة 25

إعداد: هشام المنشاوي

أقام النجاشي وليمة احتفالاً بزواجها من الرسول

رملة بنت أبي سفيان.. شهد لها القريب والبعيد بالذكاء والبلاغة

ام الشهداء، ورحم الابطال، ومدرسة تخرج فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجاهدوا في الله حق جهاده، وضربوا فى البطولة اروع الامثال.

صحابية سيرتها تحكى عظمة الصحابيات وحب الله ورسوله صلى الله عليه وعليهن وسلم، ذلگ الحب الذى ملا قلوبهن وهانكل شئ فيه. لها خصيصة لا توجد لغيرها وهي انها تزوجت بعد الحارث البگير بن ياليل الليثي فولدت له اربعة اياسا وعاقلا وخالدا وعامرا وگلهم شهدوا بدرا وگذلگ اخوتهم لامهم بنو الحارث فانتظم من هذا انها امراة صحابية لها سبعة اولاد شهدواكلهم بدرا مع النبي صلى الله عليه واله وسلم.

وگاني بام الشهداء السبعة تتمنى من اعماق قلبها ان يگون لها من الولد الگثير والگثير، فيموتوا في سبيل الله حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة فى ثواب الله العظيم، فهى امراة امنت بالله وزادها الله هدى واتاها تقواها، فجعلت الاخرة مبلغ همها ومنتهى بغيتها، فگان منها ما حگاه اصحاب السير عنها خلق فاضل، وگمال وافر، وسلوگ نبيل، وعقل راجح وحگمة سامية وبطولة نادرة وايمان راسخة ويقين صادق، وعمل مبرور، وسعى مشگور.

- أرسل النبي رسولا للنجاشي للزواج منها خلال فترة هجرتها للحبشة
- قبل أن يصل جيش المسلمين إلى مكة أسلم أبوها أبو سفيان بن حرب
- كانت أم حبيبة عالمة عاملة فقد روت عن رسول الله بضعة وستين حديثا

مسجد رملة بنت أبي سفيان

هي أم المؤمنين ، رملة بنت أبـي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية القرشية ، أمّها صفية بنت أبي العاص بن أمية ، وأخواها معاوية كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و عتبة والي عمر بن الخطاب على الطائف .

وهي بنت عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس من أزواجـه من هي أقرب نسباً إليه منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها ، ولا من تزوج بها وهي نائية الديار أبعد منها.

ولدت قبل الإسلام ، وكانت تكنى أم حبيبة ، نسبة إلى ابنتها من زوجها الأول ، وهي من الثلّة المؤمنة التي أسلمت مبكراً في مكة.

تـزوجت عبيد الله بـن جحش الأسـدي ، وعاشت معه تلك التجربة القاسية التي لاقاها المؤمنون في بدايات الدعوة المكيّة ، وما انطوت عليه من معاناة مريرة وأحداث مروعة ، ولم يكن ثمّة مخرج من هذه الحـال سوى هجرة الأوطـان وتركُ الديار ، إلى أرض تسمح لهم بحريّة العبادة ، ووقـع الاختيار على أرض الحبشة ، وهكذا هاجرت أم حبيبة مع زوجها إلى الحبشة ليظفروا بالأمن والأمان ، ولم تدم سعادتها طويلاً ، فقد حدث لها ما لم يكن في الحسبان .

تقول أم حبيبة : " رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهها ، ففزعت ، فقلت في نفسي: تغيّرت والله حاله ، فلما أصبح الصباح دعاني وقال لي : يا أم حبيبة ، إني نظرت في الدين قبل إسلامي ، فلم أرى ديناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دنت بها ، ثم أسلمتُ ودخلتُ في دين محمد ، ولكني الآن أرجع إلى النصرانية ، ففزعتُ من قوله وقلت : والله ما هو خيرٌ لك . وأخبرتُه بالرؤيا التي رأيتها فيه ، فلم يحفل بها ، وأكبّ على الخمر يعاقرها حتى مات .

فأصابني من ذلك همٌّ وغمٌّ عظيمين ، إلى أن رأيت فيما يرى النائم من يناديني قائلاً : يا أم المؤمنين ، فأوّلتها أن رسول الله يتزوجني ، فما هو إلا أن انقضت عدّتي ، حتى أتاني رسول النجاشي يستأذن الدخول عليّ ، فإذا هي جاريةٌ له يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فدخلتْ عليّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجك إيّاه ، ففرحت وقلت : بشّرك الله بخير ، فقالت لي : يقول لك الملك وكّلي من يزوّجك ، فأرسلت إلى خالد بن سعيد العاص فوكّلته ، وأعطيتُ الجارية ما عندي من حليٍّ وجواهر مكافأةً لها على ما بشّرتني به.

فلما كـان العشي أمـر النجاشي بحضور جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين ، فخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنّه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، أما بعد : فـإن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجـه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبته إلى ما دعا إليه ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أما بعد : فقد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوّجته أم حبيبة ابنة أبي سفيان ، فبارك الله لرسوله . ثم قام ودفع إليّ الدنانير ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال لهم النجاشي : اجلسوا ؛ فإنّ سنّة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على الزواج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا ".

وتواصل أم حبيبة سرد قصتها قائلةً : " فلما وصل إليّ المال أرسلتُ إلى الجارية التي بشّرتني ، فقلت لها : إنـي كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي ، فهذه خمسون مثقالا فخذيها واستغني بها ، لكنها ردّت إليّ كل ما أعطيتها ، وقالت : عـزم عليّ الملك ألا آخـذ منك شيئا ، وإنـي قد تبعت دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله ، فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله مني السلام ، وتعلميه أني قد اتبعت دينه ، فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة أخبرته كيف كانت الخطبة ، وما فعلت بي الجارية ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (وعليها السلام ورحمة الله) .

مشهد تخيلي لفتح مكة

لقد احتفلت المدينة بهذا الحـدث العظيم سنة 7هـ، وكان عمرها يومئذ 36سنة ، وأنزل الله تعالى في شأن هذا الزواج المبارك قوله : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ (الممتحنة : 7) ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : " ..فكانت المودة التي جعل الله بينهم تزويج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين ، وصار معاوية خال المؤمنين " .

هذا وقد شهد لها القريب والبعيد بالذكاء والفطنة ، والفصاحة والبلاغة ، ، وكانت فوق ذلك من الصابرات المجاهدات ، ويظهر جهادها وصبرها من خلال هجرتها إلى الحبشة مع زوجها ، تاركة أهلها وقومها ، ثم صبرها على الإسـلام عندما تنصّر زوجها ، مما أدى إلى انفصالها عنه ، فصارت وحيدة لا زوج لها ولا أهل ، وفي غربة عن الديار ، لكن الإسلام يصنع العجائب إذا لامس شغاف القلوب ، فثبتت في موطن لا يثبت فيه إلا القليل ، مما رفع قدرها ، وأعلى منزلتها في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد مواساتها بزواجه منها .

وكان لها مع والدها أبي سفيان وقفة براء من الشرك وأهله ، فإنه لمّا قدم المدينة راغباً فيً تمديد الهدنة ، دخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته دونه ، فاستنكر والدها ذلك وقال : " يا بنيّة ، أرغبت بهذا الفراش عنّي؟ ، أم أم رغبت بي عنه ؟ "، فأجابته إجابة المعتزّ بدينه المفتخر بإيمانه : "بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت امرؤ نجسٌ مشرك " .

وأمـا إسهامها في باب الرواية ، فقد روت عـدداً من الأحاديث النبوية ، منها ما جاء في "الصحيحين" : أنه لما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث ، فمسحت عارضيها وذراعيها ، وقـالـت إنـي كنت عـن هـذا لغنية لـو لا أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا) .

ولـما أحسّت بقرب رحيلها دعـت عائشة رضي الله عنها وقالت لها : " قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر ، فهل لك أن تحللينني من ذلك ؟ " ، فحلّلتها واستغفرت لها فقالت لها : " سررتني سرّك الله " ، وأرسلت إلى أم سلمة رضي الله عنها بمثل ذلك ، ثم ماتت رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة بالمدينة ، وقد بلغت من العمر اثنان وسبعون سنة ، فرضي الله عنها وأرضاها ، وجعل الجنة مأواها.

وأقـام النجاشي ملك الحـبـشـة، وليمة كبرى جمع فيها المسلمين المهاجرين للحبشة وغيرهم احتفالا بزواجها بالنبي الكريم، حيث أرسل النبي رسولا للنجاشي للزواج منها خلال فترة هجرتها للحبشة.. إنها أم المؤمنين السيدة رملة بنت أبي سفيان.

تقول دار الإفتاء المصرية، في تقرير لها عبر موقعها الرسمي: السيدة رملة بنت أبي سفيان رضـي الله عنهما هـي أم المؤمنين، السيدة أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حـرب، كـان أبوها سيد بني أمية، وأحد سـادات مكة، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية.

ولدت "أم حبيبة" قبل الإسلام، وتزوجت من عبيد الله بن جحش الأسـدي، وهـو ابن عمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أميمة بنت عبد المطلب، وولدت له بنتا وهي حبيبة فكانت تكنى بها.

ثـم أسلمت السيدة رملة هـي وزوجـهـا، وحسن إسلامها وقوي إيمانها، وعاشت معه تلك التجربة القاسية التي لاقاها المؤمنون في بدايات الدعوة في مكة، وما انطوت عليه من معاناة مريرة وأحداث مروعة، ولم يكن ثمة مخرج من هذه الحال سوى هجرة الأوطان، وتـرك الـديـار إلـى أرض تسمح لهم بحرية العبادة، ووقع الاختيار على أرض الحبشة، فهاجرت هي وزوجها وبنتها مع مجموعة من المسلمين إلى الحبشة؛ فرارا بدينهم من أذى قريش، ليظفروا بالأمن والأمان.

وأضافت الدار في تقريرها: أثناء هجرته للحبشة ارتد زوجها عبيد الله عن الإسلام، ومات هناك، فحزنت السيدة رملة رضي الله عنها لهذا حزنا كبيرا، فهي في بلاد غريبة وحيدة لا زوج لها، ولا أهل معها غير ابنتها، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حدث لها، وما يعتريها من حزن أحب أن يجبر خاطرها، فأرسل رسولا إلى النجاشي، ملك الحبشة وهو عمر بن أمية الضمري يطلب منه أن يزوج السيدة أم حبيبة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يسمح للمسلمين المهاجرين بالعودة إلى المدينة المنورة، فعرض أمر زواج السيدة أم حبيبة رضي الله عنها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففرحت بهذا فرحا شديدا، ووافقت، ثم وكلت خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس لإتمام عقد الزواج.

تابعت الدار: أقام النجاشي وليمة جمع فيها المسلمين هناك احتفالا بهذا الـزواج المبارك، ثم أمر النجاشي بتجهيز سفينتين محملتين بالهدايا، وأمرهما بحمل المسلمين المهاجرين ونقلهم إلى المدينة المنورة، فعادت أم المؤمنين السيدة أم حبيبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة.

وقبل أن يصل جيش المسلمين إلى مكة في فتح مكة أسلم أبوها أبـو سفيان بن حرب، وكانت السيدة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها تعيش مع النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم كباقي أمهات المؤمنين في حياة بعيدة عن الترف، وفيها زهد عن متاع الدنيا وزينتها، وكان هذا الزواج في السنة السابعة للهجرة، وكان عمرها يومئذ ستة وثلاثون سنة، فظلت معه صلى الله عليه وآله وسلم في حياته محبة له، تتذكر دوما كيف عطف عليها وقت محنتها، وكانت راضية مطمئنة في حياتها.

مسار فتح مكة

رحيل المسلمين إلى الحبشة